حياة رسول الله ﷺ فراغًا هائلاً، أحس به إحساسًا قويًّا، وحزن بسببه حزنًا شديدًا، وغلب عليه الوجد حتى خُشى عليه.. لقد غدا البيت بموتها خَلاءً مُوحشًا لا أنيس به ولا سمير.. ! نعم، كان فى البيت ابنتاه فاطمة وأم كلثوم، وكان فيه مولاه زيد بن حارثة، وكان فيه حاضنته أم أيمن، وربما كان فيه عدا أولئك بعض الأهل والعشيرة، وبعض الخدم والأتباع. ولكن ماذا عسى أن يغنى هؤلاء عن رجل قد حمل على كاهله أثقل مهمة يستطيع أن ينهض بها بشر؟ وماذا عسى أن يغنى هؤلاء عن رجل أحاط به الأعداء من جميع نواحيه، فهم ينُوشونه[1] من كل جانب، ويريدون أن يحطموه قبل أن يؤدى هذه المهمة الثقيلة، ويبلغ هذه الرسالة الجليلة.. ؟ ماذا عسى أن تغنى عنه فتاتان فى سن الغَضارة[2]، لم تفارق صغراهما بعد سذاجة الطفولة، ولم تغادر كبراهما بعد غرارة الشباب ؟ ماذا عسى أن يغنى عنه خادم أو خادمة أو عدد من الخدم والأتباع.. ؟ لقد يكون هؤلاء جميعًا حِملاً ثقيلاً على كاهله، يزيد عِبْئه عبئًا وهمه هَمًّا..

أين منه ذلك القلب الكبير، الذى كان يشكو إليه

---

(١) ينوشونه : يتناولونه.

(٢) سن الغضارة : حداثة السن وقلة التجربة.